الفصل السادس

من فصول هذا الباب

في بيان فضائل أهل السنة وأنواع علومهم وأئمتهم

اعلم أنه لا خَصْلَة من الخصال التي تُعَدُّ في المفاخر لأهل الإسلام: من المعارف والعلوم، وأنواع الاجتهادات، إلا ولأهل السنة والجماعة في مَيْدَانها القِدْحُ المُعَلى، والسهم الأوفر.

فدونك أئمة أصول الدين وعلماء الكلام من أهل السنة. فأول متكلميهم من الصحابة: عليُّ بن أبي طالب كرم الله وجهه حيث ناظر الخوارج في مسائل الوعد والوعيد، وناظَرَ القَدَرية في المشيئة والاستطاعة والقَدَر. ثم عبد الله بن عمر رضي الله عنهم حيث تبرأ من مَعْبد الجهني في نفيه القَدَر.

وأول متكلمي أهل السنة من التابعين: عمرُ بن عبد العزيز، وله رسالة بليغة في الرد على القدرية، ثم زَيْدُ بن علي زين العابدين، وله كتاب في الرد على القدرية، ثم الحسن البصري، ورسالته إلى عمر بن عبد العزيز في ذم القدَرية معروفة، ثم الشعْبي وكان أشد الناس على القدرية، ثم الزُّهْري وهو الذي أفتى عبدَ الملك بن مروان بدماء القدرية.

ومن بعد هذه الطبقة: جعفر بن محمد الصادق، وله كتاب «الرد على القدرية، وكتاب «الرد على الخوارج»، ورسالة في الرد على الغُلَاة من الروافض.

وأول متكلميهم من الفقهاء وأرباب المذاهب: أبو حنيفة، والشافعي؛ فإن أبا حنيفة له كتاب في الرد على القَدَرية سماهُ كتاب «الفقه الأكبر»[1] وله رسالة أملاها في: «نصرة قول أهل السنة أن الاستطاعة مع الفعل»، ولكنه قال: «إنها تصلح للضدين»، وعلى هذا قوم من أصحابنا، وللشافعي كتابان في الكلام، **أحدهما:**

«في تصحيح النبوة والرد على البراهمة»، **والثاني:** «في الردّ على أهل الأهواء».

فأما المَرِيسيُّ من أصحاب أبي حنيفة فإنما وافق المعتزلة في خَلْق القرآن وأكْفَرهم في خلق الأفعال. ثم من بعد الشافعي تلامذته الجامعون بين علم الفقه والكلام، وكان ابو العباس بن سُرَيج أبْرَعَ الجماعة في هذه العلوم، وله نقض كتاب الجاروف على القائلين بتكافؤ الأدلة.

ثم من بعدهم الإمام أبو الحسن الأشعري الذي صار شجى في حلوق القدرية. ومن تلامذته المشهورين: أبو الحسن الباهلي، وأبو عبد الله بن مجاهد، وهما اللذان أثمرا تلامذة هم إلى اليوم

---

(1) هذا الكتاب غير صحيح النسبة إلى الإمام أبي حنيفة. انظر الأعلام للزركلي 8: 36، وجونبول في دائرة المعارف الإسلامية (الألمانية) 1: 96ن وشاخت في نفس المصدر (الإنجليزية) 1: 123.

شموس الزمان وأئمة العصر، كأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، وأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفرايني، وابن فورك.

وقبل هذه الطبقة: أبو علي الثقفي، وفي زمانه كان إمام السنة أبو العباس القلانسي الذي زادت تصانيفه في الكلام على مائة وخمسين كتابًا، وقد أدركنا منهم في عصرنا ابنَ مجاهد، وابن الطيب وابن فورك، وإبراهيم بن محمد رضي الله عن الجميع، وهم القادة السادة في هذا العلم.

وأما أئمة الفقه في عهد الصحابة والتابعين ومَنْ بعدهم: فقد ملأوا العالم علما، وليس بينهم من لا يناصر السنة والجماعة، وهم أشهر من نار على عَلَم، ففي سَرْد أسمائهم طول.

وأما أئمة الحديث والإسناد: فهم سائرون على هذا المهيَع[1] الرشيد، لا يُوصَم أحد منهم ببدعة، وفي طبقاتهم كتب خاصة تغني عن ذكر أسمائهم هنا، وآثارهم الخالدة لم تزل بأيْدي حَمَلة العلم مدى الدهر.

وكذلك أئمة الإرشاد والتصوف كانوا على توالى القرون على هذا المنهج السديد في المعتقد.

وكذلك جَمْهرة أهل النحو واللغة والأدب كانوا على معتقد أهل السنة؛ فمن الكوفيين: المفضَّلُ الضبي، وابن الأعرابي، والرُّؤَاسي، والكسائي، والفراء، وأبو عُبَيد قاسم بن سَلَّام، وعلى بن المبارك اللحياني، وأبو عَمْور الشيباني، وإبراهيم الحربي، وثعلب، وابن الأنباري، وابن مقسم، وأحمد بن فارس، كانوا كلهم من أهل السنة. ومن البصريين: أبو الأسود الدؤلي، ويحيى بن معمر، وعيسى بن عُمر الثقفي، وعبد الله بن أبي إسحاق الحَضْرَمي، وبعدهم أبو عَمْرو بن العَلَاء الذي قال له عمرو ابن عُبَيْد القَدَري: «وقد ورد من الله تعالى الوعد والوعيد، والله تعالى يصدق وعده ووعيده»، فأراد بهذا الكلام أن ينصر بِدْعَته التي ابتدعها في أن العُصَاة من المؤمنين خالدون في النار، فقال أبو عمرو بن العلاء: «فأين أنت من قول العرب: إن الكريم إذا أَوْعَدَ عَفَا، وإذا وَعَدَ وفي، وافتخار قائلهم بالعفو عند الوعيد حيث قال»:

وَإنِّــــي إذَا أَوْعَــدْتُــه أو وَعَــدْتُــه لمُخْلِفُ إيـعَـادي ومُـنْـجِـزُ مَـوْعِـدِي

فعدَّه من الكرم لا من الخلق المذموم. وكذا الخليل بن أحمد، وخَلَف الأحمر، ويونس بن حبيب، وسيبويه، والأخفش، والأصمعي، وأبي زيد الأنصاري، والزجَّاج، والمازني، والمبرد، وأبي حاتم السجستاني، وابن دُرَيْد، والأزْهَري، وغيرهم من أئمة الأدب، لم يكن بينهم أحد إلا وله إنكار على أهل البدعة شديد، وبُعْد عن بِدَعِهم بعيد، ولم يكن في مشاهيرهم من تَدَنَّسَ بشيء من بدع الروافض والخوارج والقَدَرية.

وكذلك أئمة القراءة وحَمَلَة التفسير بالرواية من عهد الصحابة إلى عهد محمد بن جرير الطبري وأقرانه ومن بعهدهم، كانوا كلهم من أهل السنة، وكذلك المفسرون بالدراية إلا بعض أفرادٍ من أهل البدعة.

---

(1) (المَهْيَعُ) من الطُّرق: البَيِّنُ. والجمع : مَهايعُ.

obeikandl.com

وكذلك مشاهير علماء المَغَازى، والسير، والتواريخ، ونقد الأخبار، وحَمَلة الرواية إلا بعض أفرادٍ من أهل البدعة. وكذلك مشاهير علماء المَغَازي، والسير، والتواريخ، ونقد الأخبار، وحَمَلة الرواية من أهل السنة والجماعة. فيظهر بذلك أن جماع الفضل في العلوم في أهل السنة والجماعة، حَشَرَنا الله سبحانه في زمرتهم.

الفصل السابع

من فصول هذا الباب

في بيان آثار أهل السنة في الدين والدنيا وذكر مفاخرهم فيهما.

ألممنا ببعض آثار السنة في شَتَّى العلوم، بحيث يظهر من ذلك أنهم لا يلحقون في هذا المضمار، ومؤلفاتهم في الدين والدنيا فخر خالدٌ مَدَى الدهر للأمة المحمدية. وأما آثارهم العمرانية في بلاد الإسلام فمشهورة مَاثِلَةٌ أمام الباحثين، خالدة في بطون التواريخ، بحيث لا يلحقهم في ذلك لاحق: كالمساجد، والمدارس، والقصور، والرِّبَاطات[1]، والمصانع، والمستشفيات، وسائر المباني المؤسسة في بلاد السنة. وليس لسوى أهل السنة عمل يذكر في ذلك. وقد بني الوليد بن عبد الملك المسجد النبوي، ومسجد دمشق على أبدع نظام، وكان سنيا. وبنى أخوه مَسْلَمَة المسجدَ بقسطنطينية، وكان سنيا. وكل ما في الحرمين وسائر الحواضر من شواهق الآثار فمن عمل أهل السنة.

وأما سعى بعض العُبَيْديين[2] في عمارات، فشيء لا يذكر أمام أعمال ملوك السنة على اختلاف الدول، على أنه لا مَوْقِعَ لما كانوا يبنونه مع سوء اعتقادهم، كما قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾[3]. ولا يتسع المقام لسَرْد ما لأهل السنة من الآثار الفاخرة في الدين والدنيا.

وفي هذه الإلمامة كفاية في استذكار مآثر أهل السنة التي لا آخر لها في ناحيتي الدين والدنيا، ولله الحمد، وله الفضل، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

---

(1) الرِّباطات: ملاجئ الفقراء من الزهاد.

(2) العبيديون: لقب يُطلَق على الفاطميين وخاصة من أولئك الذين لا يؤمنون بصحة نسبهم إلى فاطمة الزهراء ويعتبر البغدادي من منكري هذا النسب. والعبيديون نسبة إلى عبيد الله المهدي مؤسس الخلافة الفاطمية.

(3) التوبة: 17.